توظيف الدبلوماسية الشعبية في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية

هايدي عادل عبدالنبي عبده هنيدي*

*باحث علوم سياسية
a.haidy9@yahoo.com

ملخص :

القبائل والشعوب والحضارات المختلفة في العصور القديمة مارست الدبلوماسية فيما بينهما، بدون أن يضعوا لها مسمى واضح أو تحديد سياق لها، وإنما كانوا يقيمون الاتصالات فيما بينهما من قبيل تنظيم العلاقات وإنهاء الخصومات بشكل بدائي.

ولكن مع الوصول إلى الحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية، بدء المفهوم يتبلور بشكل واضح على المستوى النظري والعملي، إلى أن اكتمل نُضجه بالتزامن مع استقرار الدولة القومية في أوروبا عقب تدشين معاهدة «ويستفاليا» للسلام في عام 1648م، واتخذ المفهوم شكله المؤسسي أو القانوني عندما تم وضع الاتفاقية الدولية لتنظيم العلاقات الدولية الدبلوماسية لسنة 1961م، واتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية عام 1963م، وهو ما أدى إلى ظهور الأنواع المختلفة من الدبلوماسية، ومنها الدبلوماسية الشعبية والتي تعني التأثير على توجهات الرأي العام في الدولة (أ) بما يخدم مصالح وسياسات الدولة (ب)، معتمدة في ذلك على الوسائل غير الرسمية كافة.

واتخذت الدبلوماسية الشعبية شكلين، الأول (تقليدي) يعتمد على وسائل الإعلام والصحافة والنخبة السياسية والمثقفين، وكذلك برامج التبادل الأكاديمي والطلابي والمهني والثقافي، ومن أبرز صورها الدبلوماسية الثقافية.

أما الآخر (حديث) ارتبط ببزوغ ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والدخول إلى عصر العولمة، والدعوات إلى المزيد من ممارسة الحريات والديمقراطية، وكذلك ظهور كيانات ووحدات جديدة، فلم تعد الدولة بأجهزتها ومؤسساتها الرسمية وحدها الفاعل والمؤثر في مجال الدبلوماسية والعلاقات الدولية.

ومن ثم اعتمدت الدبلوماسية الشعبية الحديثة على المنظمات الأهلية غير الحكومية، وجماعات الضغط، والنقابات العمالية، والرياضيين، ووسائل التواصل الاجتماعي، ومـن أبـرز صورها: الدبلوماسية الالكترونية، الدبلوماسية الشبابية، دبلوماسية الألعاب الرياضية.

وأسهمت الدبلوماسية الشعبية سواء بشكلها التقليدي أو حديث في تعزيز التواصل بين الشعوب، ومن مظاهر ذلك: نجاح دبلوماسية الألعاب الرياضية في إعادة العلاقات الأمريكية الصينية بعد قطيعة دامت أكثر من عشرين عام، امتدت من عام 1949م، وحتى عام 1971م.

ونجاح الدبلوماسية الشبابية في دعم السياسة الخارجية المصرية وتحسين صورتها في المحافل الدولية من خلال تواصل الشباب مع بعضهم البعض في أكثر من مناسبة، سواء في المنتديات الشبابية أو البرامج التدريبية الدولية.

ونجاح الدبلوماسية الالكترونية في دعم السياسة الخارجية الأمريكية حيث أنها باتت أكثر قرباً من الشعوب وخاصة العربية، بعدما سمحت لها منصات التواصل الاجتماعي بنشر التويترات والتغريدات في مختلف المجالات.

أما الدبلوماسية الثقافية ساعدت الإمارات على تعزيز أجندة القوة الناعمة لها في مجال السياسة الخارجية، حيث احتلت المرتبة الأولى عربياً والمرتبة 18 دولياً في مؤشر القوة الناعمة العالمية.

كلمات مفتاحية : الدبلوماسية – الدبلوماسية الشعبية – الدبلوماسية الثقافية – الدبلوماسية الالكترونية – الدبلوماسية الشبابية – الدبلوماسية الرياضية - التواصل بين الشعوب.

Employing Popular Diplomacy in Implementing Foreign Policy Objectives

Heidi Adel Abdel Nabi Abdah Huneidi/ Political science researcher

ABSTRACT:

Different tribes, people, and civilizations in ancient times practiced diplomacy among themselves, without giving it a clear name or defining a context for it.

But with the arrival of the Greek, Roman, and Islamic

civilizations, the concept began to crystallize clearly at the theoretical and practical level, until it reached its maturity in conjunction with the stability of the nation-state in Europe following the inauguration of the Westphalian Peace Treaty in 1648. Then the concept took its institutional or legal form when it was developed in the International Convention for the Regulation of International Diplomatic Relations in 1961, and the Vienna Convention on Consular Relations in 1963, which led to the emergence of different types of diplomacy, including popular diplomacy, which means influencing public opinion trends in State (A) in a way that serves the interests and policies of the State (B) Relying on all informal means.

Public diplomacy took two forms, the first is (traditional) relying on the media, the press, the political elite, and intellectuals, as well as academic, student, professional, and cultural exchange programs. One of its most prominent forms is cultural diplomacy.

The second is called (modern) and was associated with the emergence of the communication and information technology revolution and entry into the era of globalization, and calls for more exercise of freedoms and democracy, as well as the emergence of new entities and units. The state, with its official agencies and institutions, is no longer the only actor and influencer in the field of diplomacy and international relations.

Hence, modern popular diplomacy relies on non-governmental civil organizations, pressure groups, trade unions, athletes, and social media, and its most prominent forms are: electronic diplomacy, youth diplomacy, and sports diplomacy.

Popular diplomacy, whether in its traditional or modern form, contributes to enhancing communication among people; among the manifestations of this is the success of sports diplomacy in restoring US-Chinese relations after a rupture that lasted more than twenty years, extending from 1949 to 1971.

The success of youth diplomacy is manifested in supporting Egyptian foreign policy and improving its image in international forums through youth communication with each other on more than one occasion, whether in youth forums or international training programs.

While the success of electronic diplomacy is manifested in supporting American foreign policy, as it has become closer to people, especially Arab people, after social media platforms allowed it to publish tweets and retweets in various fields.

As for cultural diplomacy, the UAE helps promote its soft power agenda in the field of foreign policy, as it is ranked first in the Arab world and 18th internationally in the global soft power index.

KEY WORDS:

Diplomacy - Popular Diplomacy - Cultural Diplomacy - Electronic Diplomacy - Youth Diplomacy - Sports Diplomacy - Communication among people.

مقدمة

شهدت الدبلوماسية تطوراً كبيراً عبر التاريخ، منذ أن بدأت ممارستها عند القبائل والحضارات الأولى، مروراً بتأصيلها النظري عند الحضارات والدول الأوروبية، وصولاً إلى شكلها القانوني بالتزامن مع وضع الاتفاقية الدولية لتنظيم العلاقات الدولية الدبلوماسية لسنة 1961م، واتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية عام 1963م، الأمر الذي فتح المجال واسعاً أمام تشعب وتعدد أنواع الدبلوماسي، بحيث لم تعد مقتصرة على العمل الرسمي بين الحكومات والسفارات، وإنما ظهرت أنواع عديدة، من بينها الدبلوماسية الشعبية التي تعني التأثير على توجهات الرأي العام في الدولة (أ) بما يخدم مصالح وسياسات الدولة (ب)، معتمدة في ذلك على كافة أشكال الوسائل غير الرسمية.

تلك الدبلوماسية التي اتخذت شكلين، الأول هو تقليدي وظهر في أوائل الستينات، حيث اعتمد على وسائل التأثير التقليدية المباشرة، مثل وسائل الإعلام والصحافة والنخبة السياسية والمثقفين، وكذلك برامج التبادل الأكاديمي والطلابي والمهني والثقافي، ومن أبرز صورها الدبلوماسية الثقافية.

أما الثاني وهو حديث وظهر بشكل واضح في أوائل التسعينيات بالتزامن مع ثورة الاتصالات، حيث اعتمد على وسائل التأثير غير المباشرة، مثل الألعاب الرياضية، القوة الشبابية، منصات التواصل الاجتماعي، ومن أبرز صورها دبلوماسية الألعاب الرياضية، الدبلوماسية الشبابية، الدبلوماسية الالكترونية.

واجتمعت الدبلوماسية الشعبية بصورها كافة على دورها الحيوي في التأثير على توجهات الشعوب في الدول الأخرى واستمالتهم نحو الأهداف التي تسعى إليها الدولة

المعنية، ولنا في ذلك العديد من الأمثال، منها نجاح دولة قطر في تحسين صورتها أثناء تنظيم مونديال كأس العالم لكرة القدم في عام 2022م، بعدما كانت دولة على خلاف وخصومة مع محيطها الخارجي، استطاعت أن تحصل على إشادة عربية وغربية واسعة لنجاحها في تقريب الشعوب.

وبالتالي إن هذه الورقة البحثية تهتم بدراسة الدبلوماسية الشعبية لبيان مدى دورها في تعزيز التفاهم والتقارب والتواصل بين الشعوب المتجاورة، **باستخدام المنهج الاستقرائي**، الذي يقوم على جمع المعلومات وتحليلها للوصول إلى الاستنتاجات، مع محاولة الربط بين التأصيل النظري والجانب التطبيقي.

وذلك لمحاولة الوصول إلى إجابة **للسؤال البحثي الرئيسي** لهذه الورقة وهو إلى أيّ مدى تسهم الدبلوماسية الشعبية في تعزيز التواصل بين الشعوب وتحقيق أهداف السياسية الخارجية للدول؟

ومن هنا تظهر **الأهمية البحثية** لهذه الورقة كونها تخرج من حيز العرض النظري إلى دراسة حالات تطبيقية نجحت في التعامل مع صور الدبلوماسية الشعبية كافة، القديم منها والحديث أيضاً، بما يساعد على فهم الدبلوماسية الشعبية بشكل أفضل، واستنباط واستنتاج أهم سماتها وملامحها.

وبناءً عليه **تم تقسيم الورقة البحثية** وفقاً للآتي: النشأة التاريخية للدبلوماسية، مفهوم الدبلوماسية، مفهوم الدبلوماسية الشعبية، الأنـواع المختلفة للدبلوماسية الشعبية، التجارب والتطبيقات المختلفة للدبلوماسية الشعبية في العديد من الدول، الوصول لعدد من الاستنتاجات المتعلقة بعمل الدبلوماسية الشعبية مع التوصية بعدد من الآليات المقترحة لتطوير وتحسين دورها بشكل أفضل.

أولا – النشأة التاريخية للدبلوماسية

حرصت القبائل والحضارات المختلفة في العصور القديمة على الاتصال فيما ببينها؛ لتنظيم العلاقات فيما بينها وتجنب الخصومات والعداء، فكان يتم تبادل الهدايا بين الملوك، المصاهرة والزواج بين

الشعوب المختلفة، وغيرها، ولكن الأمر كان يتم بدون وضع مسمى له أو تحديد سياق له.

ولكن مع ظهور الحضارة الإغريقية اليونانية في أوروبا في القرن الثامن قبل الميلاد، بدأت العلاقات بين شعوبها ودولها المختلفة تأخذ إطاراً أكثر تنظيماً، وخاصة مع ظهور الفلاسفة والمفكرين المتميزين في هذا العصر، مثل سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، الأمر الذي أسهم في تطوير مفهوم الاتصال بين الشعوب، ووضع قواعد له تحت اسم أو مصطلح «دبلوما» «Diploma»، وتعني الوثيقة التي تصدر عن أصحاب السلطة والرؤساء السياسيين للمدن وتمنح حاملها امتيازات معينة[1].

ومع الوصول إلى القرن الأول قبل الميلاد، ظهرت الدولة الرومانية الموحدة، وبدأوا يستخدموا لفظ «دبلوما» للإشارة إلى الوثيقة المطوية، حيث كانت الوثائق الرسمية لديهم تنسخ على الواح معدنية وتطوى بشكل خاص، وتعطي الامتيازات لمن يحملها مثل جوازات السفر، وكذلك ظهر مفهوم مؤسسة السفارة تحت اسم (legationes) [2].

تلى ذلك ظهور الدولة البيزنطة، في القرن الخامس الميلادي، التي أدخلت لأول مرة مفهوم «السفارة الدائمة»، حيث لازم المبعوث البيزنطي عمله في الدولة الأخرى لمدة من الزمن كانت أطول من المألوف.

ولم تكن الحضارة العربية الإسلامية بعيدة عن تلك التطورات في مجال التفاوض والتعايش السلمي، وإنما أقامت نظامًا متطوراً، ومن مظاهر ذلك تم إيفاد عدد من الرُسل إلى كثير من الملوك ورؤساء القبائل العربية وكذلك استقبال الرُسل المبعوثين، وجمع شمل القبائل العربية المتفرقة والمتناحرة، وأيضاً استحدث نظام قانوني داخلي وخارجي يضاهي الموجود حالياً في التاريخ المعاصر.

واستمراراً للنهج نفسه نجحت الدولة الأموية والدولة العباسية في تطوير هذا المجال على مستوى واسع ومتقدم سواء على المستوى النظري أو العملي، ومن مظاهر ذلك: وضع أشهر القواعد المعمول

(1) محمد سعد عبدالله الشهراني، «تطور مفهوم الدبلوماسية ف ى بلاد اليونان والشرق الأدنى خلال القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد»، في مجلة بحوث الشرق الأوسط (جامعة عين شمس، مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية: المجلد 7، العدد 48 - الرقم المسلسل للعدد 1، يناير 2019)، ص ص 13، 14.

(2) علي عباس حسن، الجذور التاريخية للدبلوماسية، (بغداد: مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2020)، ص 29.

بها حتى الوقت الحالي، وهي ما يطلق عليها «شعرة معاوية»، حيث قال: «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوها شددتها وان شدوها أرخيتها»، وكذلك استحداث منصب الوزارة لمتابعة العلاقات الخارجية، وأيضاً ظهرت العديد من المؤلفات والموسوعات العلمية التي تناولت إدارة العلاقات الدولية والسياسة الخارجية، ومن أبرزها كتب: السلام والحرب، الوقائع والفتوح، وغيرها.

وجاءت بعد ذلك الدولة العثمانية عام 1299م واستطاعت أن تقيم علاقات خارجية متطورة، وتعقد المعاهدات العديدة مع الدول المجاورة، ومن أهمها معاهدة عام 1535م مع فرنسا، والتي ألزمت فيها الدولة العثمانية بمنح فرنسا امتيازات متعددة وخاصة في شؤون القضاء، حيث يكون لممثل فرنسا الولاية الكاملة في مقاضاة الفرنسيين في المناطق الخاضعة للدولة العثمانية في القضايا المدنية والجزائية وصلاحية تنفيذ الأحكام الصادرة من محاكمها في صورة محاكم خاصة يطلق عليها «المحاكم القنصلية»[3].

(3) د. سعيد محمد أبو عباه، الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها، (رام الله: دار الشيماء، الطبعة الأولى، 2009)، ص ص 35 – 46.

وفي هذا أثناء استطاعت عدد من الدول الأوروبية تطوير مجال تبادل الرُسل والمبعوثين، ومن أشهرهم إيطاليا وخاصة مدينة البندقية، التي أرسلت رُسلها إلى الجمهوريات الأخرى ليقيموا هناك فترة تتراوح ما بين ثلاثة وأربعة أشهر، وهو ما أدى إلى ظهور مفهوم «البعثة الدبلوماسية الدائمة»، وكذلك أسس ما يعرف بـ «السلك الدبلوماسي»، حيث بدأت تظهر كلمة «الدبلوماسية» بالمعنى الحديث لها.

وتبعاً لذلك قامت مقاطعة ميلانو بإرسال بعثة دائمة إلى مقاطعة جنوا في عام 1455م، وعينت مقاطعة فينيسيا تاجرين يقيمان في لندن كمساعدي سفير هناك عام 1460م، وبعد سنوات أنشأت الدويلات الإيطالية الأخرى سفارات دائمة لها في لندن وباريس ثم عينت بريطانيا سفراء دائمين لها في باريس في عام 1519م، ثم اخذ التمثيل الدبلوماسي الدائم ينتشر بعد ذلك تدريجيا حتى شمل القارة الأوروبية بأكملها[4].

(4) المرجع السابق، ص ص 47 – 52.

وفي عام 1626م قام رئيس الوزراء الفرنسي المُحنك «الكاردينال ريشيلو» بتطوير العمل الدبلوماسي، ومن مظاهر ذلك: تأسيس أول وزارة خارجية، وطرح كذلك المنهج الكلاسيكي في العلاقات الدولية القائم على مبدأ الدولة المستقلة الذي تحركه المصالح القومية كهدف نهائي، وابتكر قاعدة الموافقة المسبقة على المبعوث الدبلوماسي من البلد المضيف، وجرى إنشاء ما يشبه بجهاز الخدمة القنصلية.

ومع تدشين معاهدة «ويستفاليا» للسلام في عام 1648م، التي مهَّدت لظهور النظام الدولي الحديث، القائم على فكرة دولة المواطنة بمفهومها الحديث، بدأ تأسيس المفهوم الحديث للدبلوماسية، ومع نهاية القرن التاسع عشر تبنَّى العالم بأسره الدبلوماسية على الطريقة الأوروبية، إذ كانت نظامًا دبلوماسيًّا مكتمل النمو، فأصبح لدى الدول الكبرى سفارات في نظيراتها من الدول الكبرى، ومفوضيات في الدول الصغرى، ورأَس السفارات سفراء بينما ترأس الوزراء المفوضيات.

ومع حلول عام 1893م أجاز الكونجرس الأمريكي ترقية العديد من المفوضيات الأمريكية المهمة إلى سفارات شريطة أن تتخذ الدول الأخرى الخطوة نفسها، ومنذ ذلك الحين، أخذت السفارات تدريجيًّا تحل محل المفوضيات[5].

ولكن مع حلول 1914م دخل دول العالم في براثن الحرب العالمية الأولى، وبدأت ملامح الدبلوماسية تتغير تماماً، حيث باتت تعتمد على القوة العسكرية، وباتت سرية في معظم جوانبها، وغابت الاستقلالية من عمل الدبلوماسيين.

إلا أن الرئيس الأمريكي «توماس وودرو ويلسون» في يناير عام 1918م، في بيانه الخاص بوضع مبادئ السلام من أجل إنهاء الحرب العالمية الأولى، انتقد التغيرات التي سادت على الدبلوماسية، وأكد أن الدبلوماسية وعقد المعاهدات الدولية يجب أن يتما بشكل علني وصريح، ويطلع عليهما المجتمع الدولي ممثلاً في «عصبة الأمم»

(5) كوثر محمود محمد (مترجم)، جوزيف إم سيراكوسا، الدبلوماسية... مقدمة قصيرة جداً، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2014)، ص ص 14، 15.

التي أنشأت عام 1920، ومن ثم «الأمم المتحدة» التي أنشأت عام 1945م.

ومنذ ذلك التاريخ طرأت تغييرات جوهرية على إدارة الدبلوماسية، حيث تم التحول من الدبلوماسية الثنائية التقليدية إلى الدبلوماسية متعددة الأطراف والدبلوماسية الإقليمية، وهو ما أطلق عليه اسم «دبلوماسية المؤتمرات والمنظمات الدولية»[6].

وكذلك ظهر التشعب في مجال العمل الدبلوماسي، فلم يعد الأمر مقتصراً على الجوانب العسكرية أو الأمنية، وإنما امتد ليشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية، ولدعم العمل الدبلوماسي بصورة أكثر تنظيماً تم وضع الاتفاقية الدولية لتنظيم العلاقات الدولية الدبلوماسية لسنة 1961م، واتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية عام 1963م، وهو ما أدى إلى ظهور الأنواع المختلفة من الدبلوماسية، مثل دبلوماسية الأزمـات، دبلوماسية علم النفس، الدبلوماسية الوقائية، دبلوماسية المحالفات، الدبلوماسية الاقتصادية، وغيرها[7].

ومن ذلك الدبلوماسية الشعبية (التقليدية) وهي تعني مخاطبة الشعوب والـرأي العام في الدول الأخـرى، باستخدام الوسائل التقليدية المباشرة، مثل وسائل الإعلام والصحافة والنخبة السياسية والمثقفين، وكذلك برامج التبادل الأكاديمي والطلابي والمهني والثقافي، ومن أبرز صورها الدبلوماسية الثقافية.

الدبلوماسية الشعبية (التقليدية) وهي تعني مخاطبة الشعوب والرأي العام في الدول الأخرى، باستخدام الوسائل التقليدية المباشرة

ومع الدخول إلى عصر العولمة والدعوات إلى المزيد من ممارسة الحرية والديمقراطية، في تسعينات القرن الماضي، وبزوغ ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وأيضاً ظهور مصطلح الحرب الدولية على الإرهاب، عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، حيث أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أن هناك جماعات ضخمة من شعوب العالم تُكون شعوراً غير جيد تجاه الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها الخارجية.

(6) محمد الحريري، الدبلوماسية في العلاقات الدولية.. نشأة الدبلوماسية وتطورها، بـراح، نوفمبر 2011، متاح على: https://baraa7.com/%D8%A7%D984%%D8%AF%D8%A8%D984%%D988%8%D985%%D8%A7%D8%B3%D98%A%D8%A9-%D981%%D98%A-%D8%A7%D8%A7%D984%%D8%B9%D984%%D8%A7%D982%%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D984%%D8%AF%D988%%D984%%D98%A%D8%A9/ .

(7) قسيمة محمد، ظـروف تطور الدبلوماسية والقواعد المنظمة لها، في مجلة الدراسات والبحوث القانونية، (الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، المجلد 6، العدد 2، يونيه 2021)، ص 271.

ومن ثم بدأ يتسع نطاق النشاط الدبلوماسي الشعبي ليشمل كيانات ووحدات جديدة، حيث أنه لم تعد الدولة بأجهزتها ومؤسساتها الرسمية وحدها الفاعل والمؤثر في مجال الدبلوماسية والعلاقات الدولية، وإنما ظهرت كيانات من دون الدول مثل المنظمات الأهلية غير الحكومية، وجماعات الضغط، والنقابات العمالية، والرياضيين، ووسائل التواصل الاجتماعي، وهو ما أدى إلى ظهور الدبلوماسية الشعبية (الحديثة)، التي تعتمد على وسائل التأثير غير التقليدية وغير المباشرة، ومن أبرز صورها: دبلوماسية الألعاب الرياضية، الدبلوماسية الالكترونية، الدبلوماسية الشبابية.

ثانياً - مفهوم الدبلوماسية

تعددت التعريفات المطروحة لمفهوم الدبلوماسية، ومنها:

- تعريف قاموس أكسفورد الذي تبناه الكاتب والدبلوماسي البريطاني «هارولد نيكلسون» وذلك أنها «علم إدارة ورعاية العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، والأسلوب الذي يستخدمه السفراء والمبعوثون لإدارة وتسوية هذه العلاقات».

- فيما قدم الكاتب «كاظم هاشم النعمة» تعريفاً يقول «فن تقديم مصالح الدولة على مصالح الآخرين، وهي لا تصنع السياسة الخارجية، بل هي أداة تستخدم في تنفيذ السياسة الخارجية».

- أما «بطرس غالي» الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة عرفها ضمن تقريره المقدم إلى المنظمة الدولية في عام 1992م «أنها العمل الرامي إلى منع نشوء المنازعات بين الأطراف ومنع تصاعد المنازعات القائمة وتحويلها إلى صراعات ووقف هذه الصراعات عند وقوعها».

- في حين عرفها الكاتب «فاضل زكي محمد» بأنها «علم وفن تنظيم العلاقات الدولية التي يمارسها المبعوثون والممثلون الدبلوماسيون من خلال المفاوضات»[8].

وبناءً على العرض السابق يمكن للباحث أن يعُرف الدبلوماسية على أنها فن وعلم إدارة العلاقات بين الكيانات المختلفة، بهدف

(8) ضمير عبدالرزاق محمود، الإطـار النظري للدبلوماسية الشعبية الـجـديـدة.. المفهوم والمفاهيم المقاربة، في مجلة تكريت للعلوم السياسية، (بغداد: كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، المجلد 3، السنة 3، العدد 6، يونيو 2016)، ص ص 147، 148.

تحقيق أقصى مصلحة ممكنة، وتجنب الخسائر الفادحة، والاعتماد على الوسائل الرسمية مثل السفراء والمبعوثين والدبلوماسيين، أو الوسائل غير الرسمية مثل وسائل الإعلام والمثقفين والفنانين وخلافه.

ثالثاً – مفهوم الدبلوماسية الشعبية

تاريخ الدبلوماسية الشعبية بدأ أثناء الحرب العالمية الأولى عند إنشاء لجنة الإعلام الأمريكية برئاسة الصحفي «جورج كريل» التي كانت تهدف لبناء دعم شعبي لأمريكا لشن الحرب على المانيا، وكان أول استخدام لمصطلح «الدبلوماسية الشعبية» في عام 1956م في كتابات «أدموند جيليون» «عميد كلية «فيشر» للقانون والدبلوماسية حينها في جامعة «تافتس» الأمريكية، حيث قدمها على أنها تعني: «دور الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى في تشكيل مواقف الجمهور للتأثير على شكل العلاقات الدولية وتنفيذ السياسة الخارجية».

(9) د. يسرا حسني عبد الخالق، العلاقات العامة والدبلوماسية الشعبية، (الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2015)، ص ص 163 – 165.

ثم ظهر هذا المصطلح بشكل واضح وصريح أثناء الحرب الباردة بين القطبين الأمريكي والسوفيتي، وخاصة في الستينات، عندما بدأت الجهود والحملات الأمريكية الموجه لتحريك العملية الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي[9].

ومع ظهور المتغيرات الدولية المتعلقة بالعولمة والحرب الدولية على الإرهاب، ظهرت تعريفات حديثة للدبلوماسية الشعبية ومن ذلك تعريف «نانسي سنو» والتي أشارت فيه بأنها «عملية التأثير المباشر وغير المباشر التي تقوم بها كل من الحكومات والجماعات والأفراد في دولة ما على المواقف والآراء العامة في دولة أخرى التي تنعكس بشكل مباشر على قرارات السياسة الخارجية»[10].

تنتقل ممارسة الدبلوماسية العامة من الحكومات إلى مجتمعات أكبر من المواطنين، بينما تقتصر ممارسة الدبلوماسية الرسمية على الحكومات بعضها وبعض

(10) ضمير عبدالرزاق محمود، مرجع سبق ذكره، ص ص 151 ، 152.

وبشكل عام يمكن أن فهم الدبلوماسية الشعبية على النحو الأمثل بمقارنة خصائصها الأساسية بخصائص الدبلوماسية الرسمية، فنجد أولاً أن الدبلوماسية الشعبية تتسم بالشفافية، وبأنها واسعة الانتشار،

وهو ما لا ينطبق على الدبلوماسية الرسمية.

ثانيًا تنتقل ممارسة الدبلوماسية العامة من الحكومات إلى مجتمعات أكبر من المواطنين، بينما تقتصر ممارسة الدبلوماسية الرسمية على الحكومات بعضها وبعض.

ثالثًا ترتبط القضايا والموضوعات التي تُعنَى بها الدبلوماسية الرسمية بممارسات الحكومات وسياساتها، فيما ترتبط القضايا والموضوعات التي تُعنَى بها الدبلوماسية العامة بمواقف عموم المواطنين وسلوكياتهم[11].

وبالتالي فالدبلوماسية الشعبية هي شكل من أشكال النفوذ الدولي العابر للحدود، وشكل من أشكال القوة الناعمة، بحيث تستهدف حكومة الدولة (أ) محاولة التأثير الإيجابي على معتقدات شعب الدولة (ب) بعمومها، مستخدمة نطاق واسع من الوسائل غير الرسمية المتاحة.

(11) عماد المديفر، الدبلوماسية الشعبية، الجزيرة، ديسمبر 2018، متاح على: https://www.al-jazirah.ar2.htm/20181228/com/2018 .

رابعاً – أنواع الدبلوماسية الشعبية

تعددت أنواع الدبلوماسية الشعبية التي تستخدم الوسائل غير الرسمية كافة للتواصل مع الشعوب، ولعل من أبرزها:

1- الدبلوماسية الثقافية

هي شكل من أشكال تبادل المعلومات وترويج الفنون والجوانب الأخرى للثقافة بين الدول، منذ بداية القرن التاسع عشر قامت معظم الدول باستخدام أساليب وطرق منظمة على انتهاج سياسة ثقافية خارجية واعية تهدف إلى تنفيذ مهام سياساتها الخارجية وتحقيق مصالحها العليا.

الدبلوماسية الثقافية هي شكل من أشكال تبادل المعلومات وترويج الفنون والجوانب الأخرى للثقافة بين الدول

وذلك معن طريق تبادل المعلومات والأفكار وترويج الفنون بين الدول، وكذلك برامج التبادل الأكاديمي والطلابي والمهني والثقافي، والمؤتمرات والمحاضرات، والأدب، وصناعة الأفلام، والفنون المسرحية، فضلاً عن حفلات الرقص والموسيقى، مما يسهم في تعزيز التفاهم المتبادل بين الدول.

ونظرًا لجوهر الدبلوماسية الثقافية التي تسمح للدول أن تتقاسم أشكال التعبير الإبداعي الخاصة بها، فهي مرنة بشكل طبيعي، وبالتالي يمكن أن تكون واحدة من أكثر الأدوات الدبلوماسية فعالية، ومثال حقيقي لما يسمى بالقوة الناعمة، أي القدرة على الإقناع والتأثير عبر الثقافة والقيم والأفكار، بدلاً من القوة الصلبة، التي يتم اكتسابها وتنفيذها من خلال العمليات العسكرية.

ويمكن تحديد أهم أدوات وأساليب الدبلوماسية الثقافية، في العناصر التالية: أولاً الإعلام، وهو يعتبر عنصراً أساسياً في الاتصال السياسي؛ لأنـه ينقل المعلومات وهـو بمثابة حزام النقل في الحوار بين المحكومين والحكام ويستخدمه كلا الطرفين كأداة للتفاعل المتبادل، ويجب التأكيد على أن دوره لا يقتصر على البعد الداخلي للسياسة فحسب، بل يشمل أيضًا مجال العلاقات الدولية، ومن هذا المنظور، يمكن اعتبار وسائل الإعلام ككيان يقوم بتشكيل السياسة الخارجية للدول وأداتها.

يمكن اعتبار وسائل الإعلام ككيان يقوم بتشكيل السياسة الخارجية للدول وأداتها

ثانياً الفنون، وهي أداة للدبلوماسية الثقافية أثبتت فعاليتها أيضاً حيث كانت الموسيقى والرقص أدوات قوية بشكل ملحوظ للدخول إلى قلوب وعقول الناس في جميع أنحاء العالم بفضل تفوقها على اللغة العادية وقدرتها على لمس مشاعر الإنسان العميقة، فهناك حتماً فرق كبير بين تلقي الجمهور للبيانات المباشرة بصورتها الجافة من جانب الدبلوماسيين حول المشاكل الفعلية ذات الصلة، وبين استخدام الفنون لنقل الفكرة بشكل مبسط.

ثالثاً الحوار، تعتمد الدبلوماسية دائمًا على الحوار، حيث أنه عنصر أساسي في حل النزاعات والصراعات؛ لأنه يساعد في تقريب وجهات النظر بين الطرفين المتخاصمين، ويمكن للمشاريع الثقافية العامة التي يفهمها الجميع أن تكون طرقًا فعالة للتعاون بين الدولتين وحل النزاعات.

رابعاً برامج التبادل، وتأخذ الشكل الأكاديمي أو الطلابي أو المهني

أو المعرفي بين الدول والشعوب، فعندما يسافر وفد للدراسة أو للعمل، فهو يكون وفداً دبلوماسياً ثقافياً، حيث أن المجتمع الجديد الذي تعيش فيه، يشكل رأيًا في الدولة القادمة منها ويستخلص استنتاجات بناءً على تصرفات وأفعال هذا الوفد.

وبالتالي فالدبلوماسية الثقافية، بشكل عام تعُد واحدة من أهم مكونات الدبلوماسية العامة وأكثرها تأثيراً، وفهماً بشكل أفضل، ويمكن أن تصبح أداة أقوى بكثير لتحسين صورة الدولة وعلاقاتها مع الدول الأخرى[12].

2- الدبلوماسية الإلكترونية

تعتبر الدبلوماسية الإلكترونية من أدوات السياسة الخارجية الفعالة التي تعتمد على تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة، وخاصة، تطبيقات شبكات التواصل الاجتماعي التي يلعب مستخدموها دورًا رئيسيًا في حشد المواطنين والرأي العام المحلي وكذلك الرأي العام الدولي.

تعتبر الدبلوماسية الإلكترونية من أدوات السياسة الخارجية الفعالة التي تعتمد على تقنيات المعلومات والاتصالات الحديثة

كان الظهور الأول لمفهوم الدبلوماسية الإلكترونية في عام 1992م عندما تم استخدام البريد الإلكتروني والمواقع الإلكترونية في الدوائر الدبلوماسية والمنظمات الدولية، مثلما حدث في «قمة الأرض» المنعقدة في «ريو دي جانيرو»، وإنشاء «مؤسسة دبلوماسية» في أوروبا لإجراء البحوث وتدريب آلاف الدبلوماسيين على كيفية تأثير الإنترنت في الدبلوماسية التقليدية.

وتم التركيز على هذا المفهوم بصورة أكبر، في أكتوبر عام 2008م، عندما قامت الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي آنذاك «أوباما» باستخدام موقع فيسبوك ومنصات أخرى في الدعاية له في مواجهة السيناتور الجمهوري «جون ماكين»[13].

ومع الاستخدام المكثف للإنترنت وأدوات الرقمنة ووسائل التواصل الاجتماعي، مثل المدونات والفيسبوك وتويتر، قام موقع "Diplo" بإطلاق مبادرة الدبلوماسية الإلكترونية لعام 2010م، والتي

(12) د. نجم الدين كرم الله، دور الدبلوماسية الثقافية في تطوير العلاقات بين الشعوب، الجزيرة، 2020/7/5، متاح على: https://1-a1072.azureedge.net/blogs/20205/7//%D8%AF%D988% %D8%B1-%D8%A7%D984% %D8%AF%D8%A8%D9%84%D98%8 %D9% 85%D8% A7%D8%B3%D98 %A%D8%A9-%D8% A7%D984%%D 8%AB%D982% %D8%A 7%D9%81%D98 %A%D8%A9-%D981% %D98 %A-%D8%AA%D8%B7%D988%%D9% 8A%D8%B1 .

(13) علاء عامر، السياسة الخارجية المصرية و«الدبلوماسية الشبابية»، في مجلة السياسية الدولية (القاهرة: مجلة الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، أكتوبر 2021)، متاح على: http://www.siyassa.org.eg/News/18161/%D8%AA%D8%AD%D984% %D98 %A%D984% %D8%A7%D8%AA/%D8 %A7%D98%4%D8%B3%D98 %A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D984%%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D98 %A%D8%A9-%D8 %A7%D984%%D985% %D8%B5%D8%B1%D98 %A%D8%A9-%D9%88 - %D8%A7%D98%4%D8%AF%D8%A8%D984%%D 988%%D985%%D8%A7%D8%B3%D98%A%D8%A 9-%D8%A7 %D98%4%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D9% 8A %D8%A9-.aspx .

أكدت فيها على ضرورة الوعي بأهمية الدور الذي توفره منصات التواصل الاجتماعي لترسيخ التقارب بين مواطني وشعوب جميع الدول.

وفي عام 2013 صدر كتاب «تويتر للدبلوماسين» « "Diplomats for Twitter للمؤلف «أندريس ساندريه»، وهو يقدم فيه مجموعة من المعلومات والخبرات والتجارب الملهمة للسفراء والدبلوماسيين لفتح حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي بطريقة منظمة وممنهجة ومرتبة.

وفي هذا السياق برزت العديد من المؤسسات والمعاهد المهتمة بتدريب الدبلوماسيين على كيفية التعامل مع العالم الرقمي، ومنها «دبلو فاونديشن» «"Diplo Foundation، التي أنشأتها حكومتا سويسرا ومالطا؛ لتطوير قدرات الأفراد في مجال الدبلوماسية الرقمية.

ووصل الاهتمام بالدبلوماسية الالكترونية ذروته عام 2017م، عندما قامت الدنمارك بالإقدام على تعين أول سفير تكنولوجي في العالم، متخصص ومتفرغ للتعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، وأطلقت على منصبه اسم «تكنوبلوماسي»، ويكون مقر سفارته في سان فرانسيسكو في كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي تضم كبريات شركات التكنولوجيا والتواصل الاجتماعي في العالم[14].

ولكن يجدر الإشارة هنا إلى أن الدبلوماسية الالكترونية تمثل سلاحاً ذو حدين، فعلى الرغم من الدور الهام التي تلعبه في تعزيز المناقشات بين مختلف أطياف المجتمع العالمي، بما يسهم في تعزيز أواصر التعاون وتشكيل الرأي العام الدولي بما يحقق السلم والأمن الدوليين.

إلا أنها على الجانب الآخر قد تسهم في نشر المعلومات والبيانات المغلوطة، وأيضاً زيادة تهديدات الجرائم الإلكترونية والقرصنة والإرهاب السيبراني، ونشر الأفكار المتطرفة، عبر لجان إلكترونية

(14) د. وائل عبد العال، الدبلوماسية الرقمية ومكانتها في السياسة الخارجية الفلسطينية، في سلسلة أبحاث وسياسات الإعلام (بيرزنت: مركز تطوير الإعلام، جامعة بيرزنت، 2018) ص 16.

مغرضة أو خلايا نائمة تسعى لبث روح الفتنة والفرقة بين الشعوب وفرض أيديولوجية غريبة كوسيلة لحرب المعلومات، مما يهدد الأمن القومي على المستوى المحلي والإقليمي والدولي[15].

3- الدبلوماسية الشبابية

يتجه معظم الدول في الوقت الحالي إلى إنشاء المنظمات غير الحكومية الشبابية (Youth Non Governmental Organization)، وذلك لأهمية الدور الذي يلعبه الشباب المبدعين والمتحمسين في التأثير على الحكومات والمنظمات الدولية وكذلك الشعوب المختلفة؛ من أجل تحقيق أهداف السياسة الخارجية، وخاصة في مجال دعم الأعمال الخيرية والإنسانية والأمن والسلام.

وفي عام 2015 قدمت الأردن إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة مشروع قرار نص على أهمية دور المؤسسات الشبابية في تعزيز السلام والأمن ومواجهة التطرف العنيف، وتم الموافقة عليه تحت رقم (2250)، ومن الضروري الإشارة إلى أن إهمال دور الشباب وعدم إدماجهم في صنع وتنفيذ السياسات، قد يجعلهم فريسة سهلة لتجنيدهم من قبل الجهات المتطرفة التي تنشر أفكار المظلومية وتدعو إلى ممارسة أعمال العنف والإرهاب.

لذا تم وضع عدة وثائق دولية ملزمة تؤكد على أهمية تطوير وتنمية الشباب ومنحهم كامل حقوقهم وإدماجهم داخل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ومن ذلك: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل، برنامج العمل العالمي للشباب حتى عام 2000 وما بعده، إعلان لشبونة حول سياسات وبرامج الشباب، مشروع القانون الدولي لحقوق الشباب (القرار رقم XXXV 2633)، وتنفيذاً لذلك قامت دول عدة بالعمل على اتخاذ عدد من الخطوات التي تدعم دبلوماسية الشباب وتسمح لشباب دولتها بالتعاون مع الشباب الآخرين في الخارج من أجل تحقيق المصلحة الوطنية العليا والاستراتيجية الدولية طويلة المدى التي تهدف إلى دعم الأمن والسلم والاستقرار والديمقراطية، ومن ذلك: إنشاء لجنة

(15) عائشة غنيمي، الدبلوماسية الإلكترونية وضـرورة التوعية العامة، في مجلة السياسية الدولية (القاهرة: مجلة الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، يونيو 2021)، متاح على: http://www.siyassa.org.eg/News/18021/%D8%AA%D8%AD%D984%%D98%A%D984%%D8%A7%D8%AA/%D8%A7%D984%%D8%AF%D8%A8%D984%%D988%%D985%%D8%A7%D8%B3%D98%A%D8%A9- %D8%A7%D984%%D8%A5%D984%%D983%%D8%AA%D8%B1%D988%%D986%%D98%A%D8%A9-%D988%%D8%B6%D8%B1%D988%%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D988%%D8%B9%D98%A%D8%A9-%D8%A7%D984%%D8%B9%D8%A7%D985%%D8%A9.aspx .

العلاقات الدولية للشباب الإيطالي، الجمعية الفيدرالية الشبابية غير الحكومية الألمانية، المنظمات غير الحكومية الكندية العالمية[16].

4- دبلوماسية الألعاب الرياضة

هي تعني استخدام الرياضة من أجل التأثير الدولي وتحقيق نتائج مرغوبة في العلاقات الدولية، وتغيير الصورة الذهنية للدولة ونشر ثقافتها وهويتها، وذلك على اعتبار أن الرياضة ظاهرة عالمية تتجاوز الحدود اللغوية والوطنية والثقافية، مما يسهّل التواصل بين الشعوب والثقافات المختلفة أو التسويق لأفكار ومعتقدات.

وتاريخياً، شكّلت الرياضة أداة دبلوماسية منذ الألعاب الأولمبية في اليونان القديمة، وتمّ استخدامها لتحسين صورة دولة ما في الخارج، أو لتحسين العلاقات بين الدول المتحاربة، وتم التركيز على استخدامها بصورة كبيرة أثناء فترة الحرب الباردة، حيث أنها كانت عاملاً هاماً في العلاقات الدولية، وتم استخدامها ضمن محاولات اكتساب الشرعية الداخلية والخارجية كما فعل هتلر في أولمبياد برلين عام 1936م، أو في تنفيذ السياسات الخارجية للدول، أو إنهاء الخصومات، أو تعزيز وتوطيد العلاقات بين الدول.

ومن مظاهر ذلك: أسهمت رياضة «البنج بونج» أو «كرة تنس الطاولة» في عودة العلاقات الأمريكية الصينية بعد قطيعة دامت أكثر من عشرين عام، امتدت منذ عام 1949م، وحتى عام 1971م، ذلك العام الذي وصل فيه فريق تنس الطاولة الأمريكي إلى الصين لحضور بطولة العالم 31 لتنس الطاولة، وتم اعتبار الحدث حجر أساس في عودة العلاقات الأمريكية-الصينية ومهد الطريق لزيارة الرئيس الأمريكي نيكسون إلى بكين في عام 1972م، ومع نجاح الحدث وظهور تطور في العلاقات، بدأت باقي الدول باستخدام تلك السياسة لإصلاح علاقاتها مع نظيرتها من الدول الأخرى[17].

وأيضاً لعبة «كريكيت» أسهمت في تقريب وجهات النظر بين باكستان والهند، حيث أنه في عام 1987، قرر رئيس باكستان، آنذاك، الجنرال «ضياء الحق»، حضور مباراة كريكيت بين الدولتين، في

(16) Rohollah Modaber, Role of Youth Diplomacy in Governments' Foreign Relationships by Using YNGOs Capacity (Youth Non-governmental Organizations), in Journal of Politics and Law (Ontario: Canadian Center of Science and Education Vol. 9, No. 2; 2016), P.p. 221 – 227.

(17) علاء عامر، مرجع سبق ذكره.

جايبو، حيث رافقه 68 مسؤولاً حكومياً وأفراد عائلته، وهو ما أدى إلى تهدئة التوترات التي كانت قائمة بين الدولتين وقتها.

أما رياضة «كرة القدم» فهي رياضة أساسية على جميع أجندات السياسة الخارجية للدول، فهي أكثر الألعاب شعبية في العالم، وتسعى الفرق الرياضة اللاعبة إلى تحقيق الفوز والبطولات والإنجازات، لذا إن هذه الرياضة قد تعتبر سلاح ذو حدين؛ لأن بعض الجماهير والفرق الرياضية لا تقبل فيها بالهزيمة بسهولة، مما يؤدي إلى نشوء بعض التوترات في العلاقات بين الدول، مثل المباراة التي لعبها فريقا كلاً من هندوراس والسلفادور عام 1969، والتي أعقبها حدوث اشتباكات واستفزازات عنيفة بين مشجعي الفريقين.

وفي المقابل هناك الجماهير التي تتقبل الهزيمة بروح رياضية بعيداً عن العنف، مما يسهم في تهدئة وتوطيد العلاقات بين الدول، ولأهمية هذا الأمر، أنشأت الولايات المتحدة الأميركية قسم الدبلوماسية الرياضية في وزارة الخارجية في أعقاب أحداث 11 سبتمبر 2001، كوسيلة للوصول إلى الشباب في الشرق الأوسط من خلال كرة القدم، ثم توسع نطاق هذا القسم تدريجياً ليشمل جميع مناطق العالم ومجموعة كاملة من الرياضات.

وعلى الجانب الآخر قد تستخدم بعض الدول الألعاب الرياضية من أجل التعبير عن موافقها السياسية الخارجية المختلفة، وذلك مثلما حدث في دورة الألعاب الشتوية وموندیال عام 2018 في سوتشي (روسيا)، عندما قاطع عدد من رؤساء الدول الغربية هذه الدورة؛ احتجاجاً على ما سمّوه انتهاكات الحقوق المدنية لمجتمع المثليين في روسيا، وضمّ القرم، وبالمثل، بعد الحرب التي شنتها روسيا ضد أوكرانيا عام 2022، تم منع الفرق الروسية من المشاركة في مباريات رياضية عالمية.

وهكذا، دخلت الرياضة إلى السياسة من بابها الواسع، وباتت المباريات الرياضية مناسبة لتسويق الأيديولوجيات السياسية[18]، وهنا يمكن الإشارة إلى موقف لاعب منتخب مصر السابق «محمد

(18) ليلى نقولا، الدبلوماسية الرياضية: وداعاً للعالم القديم، اقـرأ، 26 ديسمبر 2022، متاح على:
https://www.almayadeen.net/articles/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%A8%D9%84%D988%%D985%%D8%A7%D8%B3%D98%A%D8%A9-%D8%A7%D984%%D8%B1%D98%A%D8%A7%D8%B6%D9% 8A%D8%A9:%D988%%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%A7-%D984%%D984%%D8%B9%D8%A7%D984%%D985-%%D8%A7%D984%%D982%%D8%AF%D98%A%D985% .

أبو تريكة» عندما رفع قميصه الشهير «تعاطفاً مع غزة» أثناء مباراة السودان بكأس الأمم الأفريقية عام 2008م.

ومن الملاحظ أنه في السنوات الأخيرة، لم يقتصر دخول الرياضة إلى المستوى السياسي وحده، وإنما تم التوجه نحو الاستثمار في المجال الرياضي على مستويات أوسع؛ سواء على المستوى الاقتصادي واستخدام الدولة المستضيفة للأحداث الرياضية في الدعاية الاقتصادية وإظهار الأهمية السياحية للدولة ومعالمها الفريدة، مثلما فعلت روسيا عند تنظيمها دورة الألعاب الأولمبية الشتوية عام 2014م.

أو على المستوى الإعلامي وإطلاق باقة من القنوات الرياضية المتخصصة، مثلما قامت قطر بإطلاق باقة قنوات «الجزيرة الرياضية» عام 2003، وهي تضم عشرات القنوات الحاضرة في العالم العربي وأفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية، مما جعلها أول محطة للبث الرياضي في العالم العربي[19].

أو على المستوى الاجتماعي والحملات التي تم انتهجها اللاعب المصري الشهير «محمد صلاح» لتوعية الشعوب بمخاطر وأضرار تعاطي المخدرات والمواد الكحولية.

خامساً – التطبيقات المختلفة للدبلوماسية الشعبية في مجال تعزيز التواصل بين الشعوب

تسعى الدول المالكة لوسائل وأدوات الدبلوماسية الشعبية إلى توظيفها لخدمة سياساتها الخارجية وتحقيق أقصى استفادة ممكنة، والتأثير على الشعوب في الدول الأخرى، بما يساعد على تحسين صورتها وكسب الرأي العام الدولي في صفها وتحقيق مصالحها العليا، ومن نماذج الدول التي نجحت في هذا الخصوص، نجد الآتي:

- **قطر**، كمثال للدبلوماسية الرياضية، حيث نجحت في تحسين صورتها والترويج لنفسها في أوروبا وتعريف الشعوب الأوروبية بها، فبعدما لم يكن يعلم تفاصيل عنها، سوى عدد محدود من النخبة

(19) د. آية عنان، دبلوماسية الرياضة والعلاقات الدولية: كأس العالم 2022 نموذجًا، المرصد المصري، 28 ديسمبر 2022، متاح على: https://marsad.ecss.com.eg/74784/ .

الفرنسية المهتمة بالسياسة الخارجية، من حيث موقعها، عاصمتها، عملتها، وما إلى ذلك، بات الكثير من الشعب الأوروبـي يعلم هذه التفاصيل، وذلك بعدما قامت قطر بشراء حصص من النوادي الرياضية الأوروبية، ومن ذلك شرائها 70%، كمرحلة أولى، لنادي «باريس سان جيرمان» مقابل مبلغ 40 مليون يورو، بل أصبحت قطر حاضرة على أغلفة المجلات والتقارير التلفزيونية والأفلام الوثائقية والبرامج الحوارية[20].

(20) المرجع السابق نفسه.

- مصر، كمثال للدبلوماسية الشبابية، حيث اهتمت بتنمية قدرات الشباب ليكونوا قادرين على العمل السياسي، والإداري، والمجتمعي بالدولة، والتواصل مع العالم الخارجي عبر رؤية جديدة لتنفيذ سياساتها الخارجية، وفي هذا الخصوص أوضح برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام 2021م: «أن الدولة المصرية تعمل على الاستثمار في شبابها، وتهدف إلى تطبيق آليات جديدة لتعزيز مشاركة الشباب، ومنها المؤتمرات، والأكاديمية الوطنية لتدريب الشباب، وإشراك الشباب في عملية التنمية»، ومن مظاهر تطبيق الدبلوماسية الشبابية في مصر هو التعاون بين الأكاديمية الوطنية للتدريب ومدرسة الإدارة الوطنية الفرنسية (إينا)، إطلاق البرنامج الرئاسي لتأهيل الشباب الإفريقي للقيادة عام 2019م، عقد منتدى شباب العالم منذ عام 2017م، حرصت وزارة الهجرة على التواصل مع المصريين بالخارج، خاصةُ الشباب، إيماناً بدورهم القوي باعتبارهم سفراء مصر بالخارج بمختلف دول العالم، فقامت بإطلاق مؤتمر الكيانات المصرية بالخارج، في نسختين الأولى منها في يوليو 2019م، والأخرى في أغسطس 2021م بهدف إشراك المصريين بالخارج، والشباب منهم خاصة، في تحقيق رؤية مصر للتنمية المستدامة 2030، فضلاً عن إلى تنظيم الفعاليات المشتركة مثل إطلاق منتدى الشباب المصري الروسي الذي صدر في نسختين، كانت الأولى منها في موسكو، والأخرى في القاهرة، والتي سمحت للروس متابعة التطورات الكبيرة في مصر، والحوار مع الشباب المصري في ملفات التعاون المصري-

الروسي المشترك، وجاء إعلان 2021م عامًا للتعاون الإنساني بين روسيا ومصر ليؤكد توطيد العلاقات الثنائية بين البلدين في كل المجالات، وتعزيز التواصل المباشر بين مختلف طبقات الشعبين، خاصة الشباب[21].

- الولايات المتحدة الأمريكية، كمثال للدبلوماسية الالكترونية، يشير تقرير الدبلوماسية الرقمية لعام 2023 الصادر عن"Digital Diplomacy index" ، إلى تصدر الولايات المتحدة الأمريكية على دول العالم في مؤشر الدبلوماسية الرقمية، حيث حصلت على المركز الأول بتقدير 9 نقاط[22]؛ وذلك لنجاحها في استخدام أكبر قدر ممكن من مواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي بعدد كبير من لغات العالم لأغراض دبلوماسيتها العامة، حيث نشط مسؤوليها بكثرة على تويتر، ويتابعهم الملايين من الشعوب، ويغلب على تغريداتهم التنوع في الموضوعات، والحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية تولي هذا النوع من الدبلوماسية، اهتماماً خاصاً منذ أحداث 11 سبتمبر 2001م، حيث كشفت هذه الأحداث أن الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة إلى الانفتاح السياسي والتقارب مع الشعوب، واتباع نهج شامل لمتابعة الأمن السيبراني والاقتصاد الرقمي والتجارة الالكترونية والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وأكد «آليك روس» مستشار وزيرة الخارجية صاحبي مشروع تطوير العمل الدبلوماسي الأمريكي في أوساط الإنترنت، بإن الدبلوماسية التقليدية التي تقوم على الاتصال بالحكومات بالأدوات المعروفة لم تعد كافية، وأن الدبلوماسية الرقمية تقوم على العمل مع الفاعلين الحقيقيين في المجتمع، بل ومع الفاعلين الخفيين[23]، وفي عام 2022م أنشئت وزارة الخارجية الأمريكية مكتب الفضاء الإلكتروني والسياسة الرقمية The Bureau of Cyberspace and Digital Policy (CDP) ، وهو يهدف إلى مواجهة التحديات التكنولوجية الرقمية، وضمان أمن الفضاء الالكتروني الدولي، ومتابعة سير المعلومات والاتصالات الدولية الالكترونية[24].

(21) د. وائل عبد العال، مرجع سبق ذكره.

(22) https://digital-diplomacy-index.com/index/ .

(23) وليد عباس، الدبلوماسية الأمريكية الرقمية، مونت كارلو الدولية، 2011، متاح على: https://www.mc-doualiya.com/articles/20110718-us-foreign-policy-reshaped-by-digital-new-tools .

(24) Jovan Kurbalija, The US is pursuing holistic digital diplomacy, Diplo, April 2022, available on: https://www-diplomacy-edu.translate.goog/blog/holistic-digital-diplomacy/?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc .

- **الإمارات،** كمثال للدبلوماسية الثقافية، حيث تعتبر من أكبر الدول المانحة للمساعدات الإنسانية على مدى السنوات الأخيرة بالنسبة إلى الناتج القومي الإجمالي، وتستفيد من هذه المساعدات أكثر من 147 دولة من خلفيات دينية وثقافية متنوعة بعيدا عن أي تحيز سياسي، كما أن دولة الإمارات هي موطن لأكثر من 40 كنيسة ومكان للعبادة، فضلاً عن العديد من مراكز التعليم والثقافة ذات المستوى العالمي، مثل جامعة السوربون، وجامعة نيويورك ومتحف اللوفر في أبوظبي، وفي عام 2020م، احتلت دولة الإمارات المرتبة الأولى عربياً والمرتبة 18 دوليًا في مؤشر القوة الناعمة العالمية، وتم إنشاء مكتب مساعد الوزير للشؤون الثقافية المسؤول عن الدبلوماسية العامة والثقافية في وزارة الخارجية في عام 2018م، وفي عام 2019م، تم تعيين «عمر سيف غباش»، السفير السابق لفرنسا وروسيا، ليصبح مساعد وزير الخارجية للشؤون الثقافية، لدعم البعثات الإماراتية على الصعيد الدولي في مجال التواصل الدبلوماسي والثقافي العام، ويعمل على تعزيز أجندة القوة الناعمة لحكومة الإمارات ودعم التعاون الدولي[25].

سادساً – الخاتمة

ناقشت هذه الورقة البحثية مدى قدرة الـدول على استخدام واستغلال الدبلوماسية الشعبية في تحقيق أهـداف سياساتها الخارجية، بعيداً عن الدبلوماسية الرسمية التي تعتمد على الأدوات الرسمية الجامدة فقط، وإنما معتمدة على القوى الناعمة والوصول السهل والسلس والمرغوب فيه للدول الأخرى وشعوبها.

وذلك من خلال الاعتماد على عدد من الأدوات منها تبادل المعلومات والأفكار وترويج الفنون بين الدول، وكذلك برامج التبادل الأكاديمي والطلابي والمهني والثقافي، والمؤتمرات والمحاضرات، والأدب، وصناعة الأفلام، والفنون المسرحية، فضلاً عن إلى حفلات الرقص والموسيقى.

وكذلك استخدام منصات وتطبيقات شبكات التواصل الاجتماعي،

(25) الدبلوماسية الثقافية، متاح على: https://www.mofaic.gov.ae/ar-ae/the-ministry/the-foreign-policy/cultural-and-public-diplomacy .

وإشراك وإدماج الشباب في عملية صنع وتنفيذ السياسات، وكذلك استخدام الألعاب الرياضية لتحقيق المكاسب المختلفة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الإعلامية أو الاجتماعية وغيره.

ومن عرض محاور هذه الورقة البحثية التي شملت عرضاً تاريخياً لنشأة الدبلوماسية، ثم مفهوم الدبلوماسية، ثم مفهوم الدبلوماسية الشعبية، وأنواع الدبلوماسية الشعبية، والتطبيقات المختلفة للدبلوماسية الشعبية في مجال تعزيز التواصل بين الشعوب، توصلت إلى عدة نتائجها، من بينها:

- ممارسة الدبلوماسية سلوك قديم منذ التاريخ البشري القديم، حيث قامت القبائل والحكومات الأولى بممارسة الفعل القائم على التفاوض وتعزيز التعايش السلمي، حتى وإن لم يكن تمت تسميته بمصطلح الدبلوماسية.

- الدولة اليونانية والرومانية أسهما في تطوير الجانب النظري للدبلوماسية، فهم من وضعوا المفهوم الاصطلاحي، وعلى الجانب الآخر لعبت الدولة الإسلامية دوراً كبيراً في تطوير الجانب العملي لها، أما الدول الأوروبية الحديثة فقد بمأسسة المصطلح، وإنشاء أول سفارة وأول قنصلية وأول بعثة دبلوماسية دائمة.

- الدبلوماسية تعني أنها فن وعلم إدارة العلاقات بين الكيانات المختلفة، بهدف تحقيق أقصى مصلحة ممكنة، وتجنب الخسائر الفادحة، والاعتماد على الوسائل الرسمية مثل السفراء والمبعوثين والدبلوماسيين، أو الوسائل غير الرسمية مثل وسائل الإعلام والمثقفين والفنانين وخلافه.

- الدبلوماسية الشعبية تعني التأثير على توجهات الرأي العام في الدولة (أ) بما يخدم مصالح وسياسات الدولة (ب)، معتمدة في ذلك على كافة أشكال الوسائل غير الرسمية، وهي تأخذ شكلاً تقليدياً مثل الدبلوماسية الثقافية، وشكل حديث مثل دبلوماسية الألعاب الرياضية، والدبلوماسية الالكترونية، والدبلوماسية الشبابية.

- أكدت النماذج التطبيقية محل الدراسة أن الدبلوماسية تسهم بشكل كبير في تعزيز التواصل بين الشعوب وتحقيق أهداف السياسية الخارجية للدول.

وفي الحقيقة أنه لا تقف دول العالم على قدم المساواة بشأن استخدامها للدبلوماسية الشعبية، ففي الوقت التي حققت في دول مراكز متقدمة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية وقطر وغيره، لا يزال هناك بعض الدول التي تلتمس الطريق للوصول إلى مستوى مقبول في هذا الشأن، وفي سبيل ذلك فإنه يمكن التوصية بعدد من المقترحات

التي تهدف إلى تعزيز دور الدبلوماسية الشعبية بصورة أكبر في مجال السياسية الخارجية، ومنها:

- **الثقافة:** نشر الأعمال الفنية في ميادين متنوعة مثل الموسيقى والسينما والعروض الحيّة والنقاشات الفكرية والكتاب والأزياء والتصميم والمحتويات السمعية والبصرية والهندسة الثقافية وألعاب الفيديو والابتكارات الرقمية وحقوق المؤلف والتنظيم السمعي والبصري والصحافة، وتنظيم المواسم الثقافية بين الدول المختلفة التي تهدف إلى الترويج للأفكار والمعارف.

- **شبكات التواصل الاجتماعي:** ضرورة رفع مستوى الوعي العام لدى المواطنين، خاصة مستخدمي المنصات الإلكترونية، ومواصلة جهود تعزيز حوكمة الإنترنت كجزء أساسي من جدول أعمال الدبلوماسية؛ وذلك لتحقيق أقصى استفادة ممكنة من الدبلوماسية الالكترونية في مجال تعزيز وتسهيل التفاعل بين مختلف شعوب العالم في المجالات كافة، ومحاولة الوصول إلى الجماهير المستهدفة، وتحقيق أهداف محددة مسبقًا وقابلة للقياس، فضلاً عن القضاء على جذور نشر أفكار التطرف والإرهاب التي لا تهدد الأمن القومي فحسب، بل تهدد الأمن والاستقرار الدوليين أيضًا

- **الشباب:** ضرورة صقل وتشكيل شخصيات الشباب وأفكارهم ورؤيتهم تجاه الدولة ومؤسساتها ومصالحها وعلاقاتها مع العالم الخارجي، وتزويدهم بالمهارات الأكاديمية والعلمية التي تؤهلهم للدفاع عن قضايا دولتهم الخارجية في المحافل الدولية، وكذلك تقديم الدعم المادي والمعنوي للجمعيات الشبابية التي تدافع عن قضايا أوطانها في المحافل الشبابية الإقليمية والدولية، وتشجيع المدونين الشباب على استخدام منصات التواصل الاجتماعي من أجل خلق ساحات مفتوحة للنقاش والتواصل بين الشباب من كل جنسيات العالم.

- **الألعاب الرياضية:** ضرورة تقديم الدعم المادي والمعنوي للشباب الرياضيين المتميزين ومساندتهم داخلياً وخارجياً، وحسن استقبال الرياضيين الزائرين من الدول الأخرى، وإرسال واستقبال المدربين الرياضيين، وتنظيم الفعاليات الرياضية الدولية الكبرى والتمثيل الوطني في الاتحادات واللجان الرياضية، عدم التركيز على لعب كرة القدم وحدها وإنما محاولة الاستفادة من جميع الألعاب الرياضية، فنتذكر أن أول لعبة في التاريخ أسهمت في توطيد العلاقات بين دولتين كانت «كرة الطاولة».